مواجهة الإرهاب الدولي علاقة نشوء "داعش" بنظرية الاحتواء الأمريكية

البروفسور رابح لونيسي

- جامعة وهران-

الملخص

الإرهاب وعلى اختلاف تنظيماته ومسمياته المتعاقبة وصولا إلى "تنظيم داعش"، ظاهرة تؤرق أمن الدول واستقرارها مع تصاعد وتيرة همجيته، بالإضافة لتطوره الإستراتيجي والإيديولوجي دفعت بالمنظرين لتفسير نشأة وتراجع أو صعود الجماعات الإرهابية وعلاقاتها ببعضها وهي تفسيرات متداخلة تمثلت في عوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية. كما أن المفهوم النسبي للإرهاب والذي ظهر جليا في السياسة الأمريكية في حربها على الإرهاب عقدت عملية المواجهة الفعلية، الأمر الذي مهد لطرح جديد بتبني نظرية الاحتواء كإستراتجية بديلة للقضاء على "التنظيم الإرهابي داعش" وتكييف الأرضية المناسبة لاحتوائه رغم أنها تحمل أبعاد خفية أكثر منها معلنة.

الكلمات المفتاحية: الإرهاب الدولي، "داعش"، الإسلام، المحافظون الجدد، نظرية الاحتواء.

التمهيد

يعد الإرهاب الدولي وتأثيراته على الأمن العالمي الشغل الشاغل لعدة دول من العالم التي تضررت من همجيته بغض النظر إن كانت هذه الدول من ضمن القوى الكبرى أو دول صغيرة أو متوسطة، فقد تعددت إستراتيجيات مواجهة هذا الإرهاب للقضاء عليه، ويصل في بعض الأحيان بعض الباحثين والأكاديميين والمتابعين إلى الاعتقاد بأن هذا الإرهاب يعيش ساعاته الأخيرة، كما توصل مثلا "جيل كيبل" المتخصص فيما يسميها بـ «الحركات الجهادية» في بدايات القرن 21، لكن في كل مرة ينبعث الإرهاب مرة أخرى بأساليب عمل جديدة وبحركات وجماعات تحت مسميات وغطاءات أخرى، مما يدفعنا إلى التساؤل والبحث في العوامل المحددة لصعود أو تراجع الجماعات الإرهابية

ونشاطاتها، وكذلك في مدى ارتباط هذه الجماعات الجديدة بالجماعات السابقة، كما وقع عند الانتقال من تنظيم القاعدة بكل فروعه العالمية والإقليمية والمحلية إلى بروز تنظيم جديد أخذ أبعادا أوسع، وهو تنظيم "داعش" الذي أنتقل إلى مرحلة إنشاء دولة في الشام والعراق، لينتقل اليوم إلى ليبيا، وممكن الساحل الأفريقي بإعلان "بوكو حرام" الولاء له، ويزداد توسعه على الأرض تحت غطاء إنشاء ما يعتقده أنها «خلافة إسلامية جديدة»، فهل هذا التنظيم الجديد هو مجرد انبعاث لتنظيم القاعدة القديم أم أنه تنظيم جديد تماما بإستراتيجيات أخرى؟ وإلى أي مدى يمكن أن يهدد أمن الدول الوطنية وحدودها ومنها منطقتنا المغاربية؟ فهل سيأتي الوقت الذي يتم فيه الاستئصال النهائي لظاهرة الإرهاب في العالم؟

إن وضع إستراتيجية فعالة وناجعة للقضاء على الإرهاب الدولي واستئصاله يتطلب منا الإجابة على عدة إشكاليات، ومنها هل هذا الإرهاب هو منتوج قوى كبرى في إطار صراعات وإستراتيجيات دولية أم هو نتاج محلي بفعل توفر أرضية اجتماعية واقتصادية وثقافية وأيديولوجية خصبة لإنتاجه أم هو نتاج تفاعل دولي ومحلي؟ وهل ظهور "داعش" هو تطور في إطار إستراتيجية الجماعات الإرهابية ومن وراءها أم هو نتاج الفوضى التي يعرفها العالم العربي نتيجة لما سمى بـ«الربيع العربي»؟ وهل يختلف تنظيم "داعش" وأساليب عمله عن التنظيمات الإرهابية السابقة؟ وهل له علاقة بإستراتيجية أمريكية جديدة بدأت تظهر ملامحها منذ فترة؟ هل يمكن تطبيق نظرية الاحتواء الأمريكية على "داعش"؟ هل بإمكان أن ينبعث الإرهاب من جديد في الدول التي اكتوت به من قبل مثل الجزائر في تسعينيات القرن الماضي؟ وهل انبعاث الإرهاب من جديد هو نتيجة وجود نقائص في الإستراتيجيات المتبعة لمواجهته أم نتيجة تغيير الجماعات الإرهابية لإستراتيجياتها وطرق تجنيدها خاصة بعد ظهور وسائل جديدة للدعاية والتجنيد مثل مواقع التواصل الاجتماعي؟

وللإجابة على هذه الأسئلة يتطلب البحث على ثلاث محاور وهي:

- عوامل نشأة وصعود وتراجع ظاهرة الإرهاب الدولي.
- تطور الجماعات الإرهابية وظهور تنظيم "داعش" وانتشارها وإستراتيجياتها.
- إستراتيجيات مواجهة الإرهاب الدولي: فعالياتها ونقائصها.

أولا:عوامل نشأة وصعود وتراجع ظاهرة الإرهاب الدولي

إن الإرهاب ظاهرة قديمة، فأول ما استخدمت كلمة «تيروريزم» في العصر الحديث والمعاصر، كانت أثناء الثورة الفرنسية، وقد أعطي هذا الوصف للحكومة القائمة في فرنسا بعد ثورة 1789، وذلك بمعنى إرهاب المعارضين للثورة[1]، ثم عرف القرنين 19و20 عدة أعمال إرهابية تحت غطاءات أيديولوجية شتى، ومنها إرهاب الفوضويين في روسيا القيصرية المعروف باغتيالات رجال الدولة الروسية، وكذلك إرهاب باسم الشيوعية ومواجهة الرأسماليين أثناء الحرب الباردة، ويعد «كارلوس» أشهر هؤلاء الإرهابيين آنذاك.

وإن عددنا عدد الأعمال الإرهابية،فإن العالم قد عرف حوالي 1840 عمل إرهابي خلال ربع قرن الأخير أي منذ 1990 في عدة دول من العالم، لكن 86 % من هذه الأعمال جرت بداية من 2001[2]، فهل معنى ذلك أن أحداث 11سبتمبر2001، وما أنجر عنها من سياسات "بوش" الذي أعلن ما أسماه بالحرب الدولية على الإرهاب هي التي غذت هذه العمليات أكثر؟ وهو ما يدفعنا إلى الإجابة على سؤالين هامين: لماذا الغموض حول تعريف الإرهاب؟ وما هي جذوره وأسبابه الحقيقية؟

اختلفت التعاريف حول الإرهاب، مما جعل البعض يرون أن تعريفه نسبي، فما يراه البعض إرهابا، فلدى الآخرون ليس كذلك، وتعرفه الولايات المتحدة الأمريكية بأنه أعمال عسكرية غير قانونية، وتضيف بأنه كل عمل لا يدخل في إطار الحرب الكلاسيكية[3]، إن هذه التعاريف غامضة، فهل معناه غزو بلدان واستعمارها واحتلالها بواسطة حروب كلاسيكية ليس إرهابا؟ فهل الدفاع الشرعي الذي تقره المواثيق الدولية ضد المحتلين إرهابا لدى الولايات المتحدة الأمريكية؟

يبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية ودول غربية تزرع نوع من الغموض حول تحديد مفهوم الإرهاب، في الوقت الذي تصر فيه دول أخرى على تحديد تعريف دقيق له، ومنها الجزائر، فالهدف واضح من هؤلاء الرافضين للمطلب الجزائري في هيئة الأمم المتحدة، ويتمثل في سعيهم لتصنيف ووضع حركات التحرر، خاصة في فلسطين في نفس الموقع مع حركات إرهابية عدمية، وهو ما من شأنه نزع الحق الشرعي في الدفاع عن الأراضي و السيادات الوطنية في حالة أي غزو أجنبي، خاصة أن هناك نوع من العودة إلى نفس أساليب الاستعمار التقليدي في احتلال دول بالقوة العسكرية، كما وقع مع

العراق في 2003، وكما كان يستهدف المحافظون الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية تحت رئاسة جورج بوش الإبن تحت غطاء نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط ومطاردة الجماعات الإرهابية[4].

نعتقد أن الإرهاب هو كل ممارسة تعمل على التصفيات والقتل على أساس عنصري مثل النازية والصهيونية، أو على أساس أيديولوجي أو على أساس ديني، وهو يقع في كل الأديان عندما يعتقد تنظيم أن مفهومه الديني هو الصحيح والباقي كفر، ثم يسعى لفرض ذلك بالقوة على الآخرين، ونعتقد أن الاحتلال واستعمار الشعوب هو رأس الإرهاب ذاته، وأي محاولة لتصنيف حركات التحرر ضمن الجماعات الإرهابية هو مناقضة للقانون الدولي وميثاق هيئة الأمم المتحدة الذي يعطي شرعية الدفاع عن السيادة.

لكن الغموض الأمريكي لمفهوم الإرهاب جعل بوش ومنظري سياساته من المحافظين الجدد يرون أن الحرب مفتوحة على كل من يريد وصفه بذلك، ويؤاخذه الكثير من الأمريكيين، بأنه بذلك أخرج محاربة الإرهاب من القانون الجنائي، بصفته جريمة يعاقب عليها القانون، وأعطاه شرعية سياسية[5]، ويرون أن الإرهاب جريمة مثل كل الجرائم الجنائية، يستحيل القضاء عليها، فهو موجود في كل زمان ومكان، فهل من المعقول القضاء النهائي على الجريمة الجنائية؟ وانطلاقا من ذلك فإنهم يرون أن بوش قد أعلن حربا على سراب سيستمر إلى الأبد، فهل أمريكا وحلفائها الغربيين بعد ما قادوا حروبا ضد أعداء محددين عبر التاريخ مثل النازية ثم الشيوعية، خلقت مع بوش والمحافظين الجدد عدو يستحيل أن ينتهي، ثم يتخذ كذريعة لاحتلال بلدان والقيام بالحروب الإستباقية لتحقيق مصالحها؟ ويرى هؤلاء أن هذه السياسة هي التي كانت وراء نمو الإرهاب الدولي بشكل مثير منذ2001، خاصة بعد الحرب على العراق واحتلالها في2003، مما دفع إلى التفكير في إعادة النظر في إستراتيجيات بوش، وطرح بدائل لها، لأنهم يرون أن هذه السياسة ستضر حتى بالنظام الديمقراطي الأمريكي، كما ذهب إلى ذلك "ألغور"(Al Gor) مرشح للرئاسيات الأمريكية في مواجهة بوش الإبن[6]، ثم "إيان شابيرو"[7] و "زبيغنيو بريجنسكي"[8] وغيرهم الكثير من الذين حملوا المحافظين الجدد مسؤولية تنامي الأعمال الإرهابية.

يدفعنا هذا إلى طرح تفسير لنشأة وصعود وتراجع الإرهاب، حيث نجد عدة نظريات وتفسيرات، ومنها:

1- التفسير الاجتماعي والاقتصادي

يرى هذا الطرح كل من الفرنسيين جيل كيبل ومعه "جول روي"، حيث يفسر كيبل في كتاب له ظهر في عام2000، بأن تنامي الإرهاب في بلدان مسلمة كالجزائر ومصر يعود إلى النمو الديمغرافي والهجرة إلى المدن، وعدم قدرة هؤلاء المهاجرين على التكيف، فتحالفت الطبقات المتوسطة مع ما يسميها بالطبقات المسحوقة اجتماعيا ضد ما يراها ظلم اجتماعي وانعدام العدالة الاجتماعية، ولهذا عرف مثلا الإرهاب في الجزائر انتشارا كبيرا في التسعينيات، لكنه يرى أنه أنتهي بسبب الطلاق الذي وقع بين الطبقة المتوسطة وما يسميها بـ«الطبقات المسحوقة» بحكم لجوء هذه الأخيرة إلى العنف، وتوصل إلى نتيجة مفادها أن الإرهاب في طريقه إلى الأفول بسبب هذه القطيعة بين الطبقتين، وأصبح محصورا جدا[9].

لكن رفض البعض طرح كيبل، خاصة بعد هجمات 2001، مما دفعه إلى الإجابة بكتاب آخر في 2004، يؤكد فيه على طرحه وتفسيره الطبقي والاجتماعي، مبينا أن الحرب الإرهابية تحولت إلى فتنة داخل الإسلام على أساس طبقي، حيث أصبح الراديكاليون أقلية في مواجهة الأغلبية[10].

فقبل مناقشتنا طرح كيبل يجب أن نؤاخذه على مصطلحاته كإطلاقه تسمية «الجهاديون» على هؤلاء الإرهابيين، وهو ما يعني إعطاء نوع من شرعية دينية لهم، ونعتقد أن قربه من المخابرات الفرنسية هو الذي جعله يستخدم هذه المصطلحات التي روج لها الإعلام الفرنسي ثم الغربي بقوة فيما بعد خاصة بعد نشوب أزمة مالي في 2012[11].

ونشير أيضا أن طرح كيبل قد غابت عنه مسائل هامة جدا، ولو أن للجانب الاقتصادي والاجتماعي دورا في الإرهاب، لكن ليس في نشأته، بل في تغذيته، لأننا نعرف الكثير من المهمشين والمسحوقين، لكنهم لم يلجأوا إلى الإرهاب في عدة دول، بمافيها الجزائر، ونجد الكثير من المرتاحين والميسوري الحال، لجأوا إلى الإرهاب، وأيضا كيف يفسر لنا كيبل عدم لجوء البعيدين عن أيديولوجية التيارات الدينية المتطرفة إلى الإرهاب رغم وضعهم الاجتماعي السيء جدا؟

هذا ما يدفعنا إلى طرح علاقة تحالف وضع اجتماعي واقتصادي بأيديولوجية دينية وهابية أتت من المشرق العربي، وبالضبط من السعودية، لا يجب أن يغيب

عن ذهننا أنه في ثمانينيات القرن الماضي، كان الكثير من حجاجنا ومؤدو العمرة عادة ما يعودون بكتب حول الوهابية تعطى لهم مجانا في مطارات السعودية، وهو أحد الأسباب إلى جانب أخرى، كانت وراء انتشار أيديولوجية تحمل بذور التطرف الديني ثم التحول إلى إرهاب، لكن في نفس الوقت، عرفت الجزائر أزمة اجتماعية حادة ناتجة عن انخفاض أسعار النفط بسبب تعويم سعودي للسوق بهدف علني يتمثل في إضعاف إيران التي كانت في حرب مع العراق الذي كان يصور آنذاك أنه المدافع عن الخليج ضد خطر إيراني محدق بها بعد قيام الثورة الإيرانية وإسقاط الشاه في 1979.

فعندما نحلل ظاهرة الإرهاب في التسعينيات الذي كان سببه التطرف الديني، نفهم أن هناك تمازج بين أزمة اجتماعية حادة جدا تدفع الإنسان للذهاب للمسجد، ليس عن قناعة دينية وتعبد لله فقط لا غير، بل كملجأ، أين يجد العزاء، فهناك كانت تتلقفه بعض الجماعات الدينية المتطرفة بخطاب متطرف يقول له أن العودة للدين وقيام دولة دينية ستحل كل مشاكله، فبتعبير آخر انتشار التطرف الديني المنتج للإرهاب هو نتاج يأس اجتماعي للإنسان، وليس تدينا فعليا، كما يعتقد البعض، هذا على عكس المتدينين العاديين وغير المتطرفين الذين يذهبون إلى المسجد عبادة لله فقط ولا فائدة دنيوية يرجوها، كما يفعل أغلب المسلمين، فلهذا يمكن لنا وصف هذه الأقلية المتطرفة الإرهابية بالقول بأنها حتى هي تنتحر بشكل آخر، فالبعض يدفعهم اليأس الاجتماعي إلى الانتحار الفردي، وآخرون يدفعهم نفس اليأس إلى الانتحار أيضا، لكن بالقيام بعمليات انتحارية ضد الشعب معتقدين أنهم يقومون بـ«الجهاد».

كما لا يجب إهمال مسألة هامة جدا في انتشار الإرهاب، فلماذا يركز الذين يختفون وراء دعاة التطرف الديني على تحريم الفنون وكل أشكال الثقافة كالمسرح والسينما مثلا، فهم في الحقيقة يستهدفون تصحير الساحة ثقافيا وإيجاد الفراغ، فينشأ نوع من الاكتئاب النفسي، ثم تأتي الجماعات المتطرفة فتستغل ذلك، لأن المكتئب واليائس يسهل تجنيده، ثم بإمكان أن نقول لماذا تعمل السعودية على نشر هذا الفكر الوهابي، فهي في الحقيقة تبحث عن زعامة إقليمية باسم الدين، ولهذا تكون جماعات دينية تابعة لها، ومن خلالها تقيم دول موالية لها أو تضغط بواسطة هذه الجماعات على هذه الدول، لكن الذي يقف وراءها فعلا هي الولايات المتحدة الأمريكية بشكل غير مباشر، والتي تسعى لزرع الفوضى، خاصة في المنطقة المغاربية، مما يسمح لها بتهديد أمن ضفتي للمتوسط، ومنها أوروبا التي تراها منافسة لها في الصراع حول الزعامة العالمية،

وكذلك لخلق صدام حضاري بين الغرب والإسلام حسب نظرية "هننتغتون"، ومنها إيجاد ذريعة لإعادة استعمار بلداننا بأشكال أخرى تحت غطاء الحرب الإستباقية[12]، ولهذا فهي ترى في الفكر الوهابي أداتها في ذلك بدون ما أن تحرك السعودية مباشرة، بل بتركها تقوم بزرع ونشر أيديولوجيتها التي تحمل في ذاتها بذور العنف، لأنها مجرد خطاب وتأويل جد متخلف للدين الذي هو بريء من ذلك طبعا، وجاء من دولة تدعي أنها تطبق الشريعة، وأكثر من هذا هي أرض نزول الوحي، وتضم الأراضي المقدسة، فبمجرد أن يقول إنسان أنه تلقى «العلم الديني» في السعودية يصبح مسموع الكلمة ومؤثر، خاصة بعدما تمكنت المعاهد الدينية في السعودية والبترودولار وإعلامها من إضعاف مكانة المؤسسات الدينية المعروفة مثل جامع الأزهر في مصر، وكل ذلك في إطار الصراع حول الزعامة الإقليمية.

فإن كان ما قاله كيبل فيه جانب فقط من الحقيقة، وأن الإرهاب كان في أفوله في نهاية تسعينيات القرن الماضي، ولعله كان يركز على الجزائر التي كانت محل تركيز في دراسته، ويعود ذلك إلى الضربات التي تلقاها الإرهاب على يد الجيش وقوى الأمن الجزائرية، وما تراجع الكثير من المؤيدين له من قبل إلا بسبب تأكدهم أن المعركة خاسرة، فلا مجال لمواصلة دعم الجماعات الإرهابية، وليس بسبب القطيعة بين الطبقتين المتوسطة والمسحوقة كما يقول كيبل، ونعتقد أنه مادامت الأرضية الأيديولوجية للإرهاب، لازالت قائمة، فإن خطره لازال قائما، وإمكانية عودته في أي حالة ضعف للدولة، بغض النظر في العلاقة بين الطبقات المسحوقة والمتوسطة كما يقول جيل كيبل.

كما غاب عن كيبل أيضا سياسات بوش الذي جعلت الإرهاب الدولي المتستر بالدين الإسلامي يعود بقوة بعد سبتمبر2001، إضافة إلى تنامي وسائل الاتصالات بقوة خاصة وسائل التواصل الاجتماعي التي أعطت سهولة التواصل والحركة والتنسيق للجماعات الإرهابية المنتشرة في مناطق متباعدة، مما أعطاها طبيعة دولية، فقد كان الصحفي الأمريكي "توماس فريدمان" محقا عندما كتب يقول، بأنه ليس صحيح أن تنامي وسائل الاتصال كالانترنت، سيدعم السلم العالمي، بل بالعكس، فهو سيكرر نفس تأثيرات اختراع المطبعة على يد "غوتنبرغ" في القرن 15 في أوروبا، والتي كانت سببا لا في انتشار الأفكار، بل في قيام حروب بسبب الإنتشار السريع للمعلومات والكتب، ومنها الحروب الدينية التي دامت 30 سنة في أوروبا مباشرة بعد اختراع المطبعة، هذا ما يتطلب اليوم الاهتمام الكبير بالأمن الإلكتروني الذي أصبح يشكل خطرا أمنيا على

الدول ووحدتها، هذا ما يدفعنا إلى طرح نظريات أخرى مفسرة لتنامي الإرهاب العالمي، ومنها التفسير الذي يربطه بالسياسات الأمريكية التي نظر لها المحافظون الجدد، الذين لا يميزون بين الإسلام كدين والجماعات الإرهابية المتطرفة التي تستخدمه، وتوظفه كوسيلة تجنيد.

2- مسؤولية سياسات بوش والمحافظين الجدد

ترى هذه النظرية أن الإرهاب المتستر بالإسلام هو نتيجة للمظالم التي وقعت على المسلمين من جراء سياسات أمريكية متعجرفة، فهؤلاء لا يكرهون أمريكا أو يشعلون حربا على قيمها أو كما يقول بوش بأنهم يكرهون الحريات الأمريكية، بل يكرهونها بسبب الاستفزازات اليومية للمسلمين ومقدساتهم، كما يقول ضابط المخابرات الأمريكي "مايكل شوير" الذي كان يترأس الوحدة المكلفة بتتبع «بن لادن»، كما تتبع كل ما تقوله الجماعات الإرهابية ومنظريها الأيديولوجيين، بل حتى مفكرين مسلمين، وهو يرى أن ما يفكر فيه الإرهابيون تجاه أمريكا يعود ذلك لعدم مراعاة أمريكا لمشاعر ومقدسات المسلمين، إضافة إلى احتلالها أراض لهم ودعمها للكيان الصهيوني وغيرها[13].

ويذهب "غراهام فوللر" نفس المذهب في كتابه «عالم بلا إسلام» وهو قد شغل منصب نائب رئيس مجلس الأمن القومي الأمريكي في الثمانينات[14].

ما يشير له كل هؤلاء هو سبب لافت للانتباه، لكننا نعتقد أن الإستفزازت والرسومات الكاريكاتورية والإظهار الإعلامي لقتل الأطفال في فلسطين، تدخل في إطار إستراتيجية متعمدة تدفع للغضب، مما يقوي، ويضخم الجماعات الإرهابية لإيجاد أرضية لهم في إطار إستراتيجية أمريكية، تستند على توظيفهم لتحقيق أهداف إستراتيجية في إطار المشروع الأمبرطوري الأمريكي معتمدة على توفر أرضية أيديولوجية لذلك.

لكن ما يستغربه الباحث أن شوير يناقض ما يقوله، عندما يرى أنه يجب الضرب بيد من حديد وبعنف أقوى ضد كل ما هو إرهابي أو داعم له، وبأنها معركة أمريكية مفروضة عليها من ما يسميه بـ«جزء من العالم الإسلامي»، فهو بذلك يدعم نسبيا طروحات المحافظين الجدد بشكل غير مباشر[15].

ويكمن اختلافه معهم هو في تفسير ما وقع، وأنه كان بسبب أخطاء في سياسات أمريكية تجاه العالم الإسلامي، أنتجت وقوت ما يسميه «حرب جزء من الإسلام على أمريكا»، ولا يمكن التخلص منها إلا بتغيير سياساتها تجاه الشرق الأوسط كالقضية الفلسطينية وعدم سعيها فرض الديمقراطية بالقوة على المسلمين، فهي دعوة لإعادة النظر في الإستراتيجية الأمريكية[16]، ونشير أن شوير قد كتب كتابه غاضبا على صناع القرار الأمريكيين واصفا إياهم بـ«الأغبياء»، ويؤكد أنه قد نبه هو وآخرون، بأن هناك اعتداء للقاعدة على أمريكا قبل 11سبتمبر2011، لكن لم تؤخذ تحذيراتهم بعين الاعتبار، وتم إهمالها، وهو ما يطرح أمامنا مسألة استغلال فرصة لتحقيق هدف إستراتيجي أمريكي أكبر، وهل الإرهاب الدولي ذاته منتوج غربي وأمريكي بالضبط؟

3- نظرية الإرهاب الدولي

يتبنى هذا الطرح الكثير من المختصين، ومنهم مثلا الأمريكي"بيتر دل سكوت"الذي ألف كتابا حول ما أسماه بـ«الطريق نحو الفوضى العالمية»، يبين فيها بأدلة قاطعة عن ارتباط الولايات المتحدة الأمريكية بالجماعات والتنظيمات الإرهابية[17]، ويبدو أن هناك جانب من الصحة في ذلك بهدف تحقيق الأهداف الإستراتيجية الأمريكية، وتعود هذه العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والجماعات الإرهابية المتسترة بالدين الإسلامي إلى الفترة التي قال فيها بريجنسكي عندما كان رئيسا لمجلس الأمن القومي الأمريكي في عهد الرئيس "جيمي كارتر" بأن "من يسيطر على الإسلام سيسيطر على الشرق الأوسطّ"، فمنذئذ أصبح توظيف واستغلال الدين الإسلامي جزءا أساسيا في الإستراتيجيات الغربية، خاصة الأمريكية منها، ولو أنها قد استخدمته من قبل ضد الشيوعية، إلا أنها استخدمته بشكل فعال في أفغانستان لتقويض الإتحاد السوفياتي، بل حتى الثورة الإيرانية كان ينتظر منها البعض من واضعي السياسات الأمريكية التأثير في مسلمي الإتحاد السوفياتي، فلا ينفي بريجنسكي في العديد من حواراته دور الولايات المتحدة الأمريكية في إنشاء الإرهاب باسم الإسلام، ومنها القاعدة لـ«بن لادن»[18].

فقد أدركت الولايات المتحدة أهمية الدين في إستراتيجياتها، خاصة الإسلام، فاستعانت بمختصين في التاريخ الإسلامي والحركات الإسلامية لرسم إستراتيجيتها التي وضعها هننغتون بفكرة صدام الحضارات، كما استعانت أيضا بـ "برنارد لويس" الذي يعرف جيدا تاريخ الإسلام ومدى تأثيره على مخيلة المسلمين وإمكانية التحكم فيهم بواسطة استغلال الدين.

لكن لا يمكن إثبات هذه العلاقة، ولهذا نرى بأن الولايات المتحدة الأمريكية توظفها عن بعد، وذلك بإيجاد أرضية أيديولوجية قوية تسمح بتكوين جماعات إرهابية محدودة، وتتحكم فيها من بعيد، فأصبحت تعمل بأساليب نفسية وإعلامية ودعائية بهدف دفع مجموعة من المسلمين إلى التعصب الديني ثم التطرف ثم الإرهاب، وذلك بجعلهم يتصرفون بردود أفعال، وإلا فكيف نفسر انتشار قنوات فضائية مشرقية عديدة تنشر الفكر الديني المتطرف، والتي يمكن أن تكون للمخابرات الأمريكية يد في إنشائها؟ ولماذا كلما ضعف التطرف الديني لدى المسلمين عمدت وسائل إعلام غربية إلى إثارة عواطف المسلمين ودفعهم إلى التعصب والتطرف كنشر صور كاريكاتورية حول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثلا؟ كما تستخدم عادة أيضا بعض الجرائم التي يرتكبها الكيان الصهيوني ضد الفلسطينيين لإثارة غضب إسلامي وإعطاء دفع لبعض الحركات الدينية، وبهذا الشكل يتقوى الإرهاب بشكل مسيطر عليه، ثم تستخدمه الولايات المتحدة تحت غطاء محاربة الإرهاب لنشر قواعد عسكرية وإعادة انتشار عسكري في مناطق تريد أن تكون تحت سيطرتها بشكل مباشر وغير مباشر، فقد رأينا ذلك في آسيا الوسطى وفي القرن الأفريقي مع الصومال ونيجيريا مع "حركة بوكو حرام"، وأخيرا في شمال مالي وأفريقيا جنوب الصحراء، كما لا يستبعد توظيف الجماعات الإرهابية لإقلاق أوروبا ذاتها خاصة شمال المتوسط، ويدخل ذلك في إطار صراع خفي حول الزعامة العالمية.

لكن هذا الصراع الخفي الموجود بين الطرفين القويين في الغرب الرأسمالي-أي أوروبا وأمريكا- حسب التعابير الماركسية لا يبرز بقوة، ولا يظهر بسبب وجود عدو مشترك يهدد مصالحه، ويرى هذا الطرح أن الغرب الرأسمالي يحمل تناقضات داخلية بسبب تضارب المصالح، لكن كي يحافظ على تماسكه يجب عليه خلق عدو مشترك، ولو كان وهميا كتضخيم خطر الإرهاب المتستر بالإسلام، هذا ما يدفعنا إلى طرح التفسير الماركسي لتنامي الإرهاب الدولي.

4- نظرية تحميل العولمة الرأسمالية مسؤولية تنامي الإرهاب

قد سبق وأن أعطينا فكرة عن هذا التفسير، ويتمثل في الحفاظ على تماسك الغرب الرأسمالي بخلق خطر وعدو مشترك، ولو كان وهميا أو بتضخيمه إعلاميا أو بشكل محدود متحكم فيه ومسيطر عليه، لكن في الحقيقة أن الإرهاب ضد الغرب الرأسمالي ليس جديد، بل عرفه الغرب أثناء الحرب الباردة مثل «كارلوس»، ويبدو أن له علاقة في معاداة الرأسمالية التي أخذت طابعا عالميا، ووضعت أيديولوجية العولمة

الرأسمالية التي تظهر كأنها أمركة للعالم، فأنتجت رد فعل ضدها في كل الديانات، وقد تبنى هذا الطرح الأمريكي "بنجامين بربر" الذي يعتبره «جهادا» ضد «أمركة العالم» وانه تحالف غير مباشر بين «العولمة وكل الأصوليات ضد الديمقراطية»[19].

ويرى آخرون أن العالم اليوم يعرف صراعا بين ما يسميهم جون زيغلر بـ «السادة الجدد» الذين يسعون لإقامة دولة عالمية لهم[20]، ويقابلهم أعداء العولمة الرأسمالية الضعيفون نوعا ما، فقد عرف العالم الثالث فكرة تجمع «الآفرو-آسيوية» في الخمسينيات ثم حركة عدم الانحياز في الستينيات، والتي حاولت أن تتحول إلى حركة اقتصادية بعد نهاية الحرب الباردة، وهدفها التحرر من الاستغلال الرأسمالي في عالم الجنوب، لكنها فشلت، وانتهت الحركة نهائيا، وأن ظهور التيارات الدينية بتطرفها وأعمالها الإرهابية، فككت هذا التحالف الجنوبي أو العالم الثلاثي، لأنه من غير الممكن بناءه على أساس ديني، بل على أساس مصالح اقتصادية، فهو بذلك حرف هذا النضال عن مساره الصحيح الذي كان عليه في الخمسينيات حتى بدايات الثمانينيات مع مؤتمر كانكون، ففقد وهجه مع سقوط المعسكر الشيوعي، لينتهي أي نقاش حوله بظهور تيارات دينية متطرفة حرفت نضالات العالم الثلاثية، والتي يشكل فيها العالم الإسلامي الجزء الأكبر من عالم الجنوب المستغل من عالم الشمال، وهو ما يسميها سمير أمين بـ«تمركز ثقافوي سلفي» كرد فعل على «تمركز ثقافوي أوروبي»[21].

لكن غاب عن هذا الطرح مسالة هامة جدا، ويتمثل في مواجهة العولمة الرأسمالية بعولمة شيوعية أثناء الحرب الباردة، فكلا الطرفين الشيوعي والرأسمالي هدفهما في الأخير إقامة دولة عالمية على أساس إحدى هذه الأيديولوجيات، وبانهيار الشيوعية، برزت أيديولوجية أخرى عولمية، تسعى إلى إقامة ما تعتبره الجماعات الدينية المتطرفة أنه «خلافة إسلامية»، ليس فقط في العالم الإسلامي، بل التفكير في غزو العالم الغربي وغير المسلم بحكم أنه دار حرب، وعادة ما يحرك هذه الفكرة حلم موجود لدى البعض، ويعود ذلك إلى ما يسميه "محمد أركون" بـ«المخيال الجماعي»، الذي يلعب دورا كبيرا في الحروب والصراعات[22].

يتبين لنا مما سبق أن هناك عدة مقاربات لفهم ظاهرة نشأة وتراجع أو صعود الجماعات الإرهابية، ونلاحظ أنها متداخلة بعضها في بعض، ولكي نضع إستراتيجية فعالة لمكافحة الإرهاب يجب أن نأخذ بكل هذه العوامل المتداخلة، وهي عوامل سياسية وإستراتيجية وثقافية واقتصادية وحتى نفسية كما أشرنا من قبل.

وقبل التطرق لإستراتيجيات محاربة الإرهاب يجب أن نطل إطلالة على إستراتيجيات الجماعات الإرهابية، وكيف تطورت حتى ظهور تنظيم "داعش" الذي سيفرض إستراتيجية أخرى، كما سنرى فيما بعد.

ثانيا: إستراتيجيات الجماعات الإرهابية

عندما نتحدث عن الجماعات الإرهابية في العقود الأخيرة، نقصد بها هذه الجماعات التي ظهرت في العالم الإسلامي باسم الدين، وتتستر بالإسلام، ولأن التاريخ البشري قد عرف عدة جماعات إرهابية أخرى وتحت عدة مسميات، فجميع الأديان تعرف الجماعات المتطرفة والإرهابية، وهي ليست ظاهرة خاصة بالفضاء الحضاري الإسلامي.

بدأت هذه الجماعات صغيرة، وأخذت طابعا توسعيا في جزائر ومصر التسعينيات، لكنها انهزمت في الجزائر أمام ضربات الجيش وقوات الأمن، لينتقل البعض منها إلى الجنوب والصحراء في إطار إستراتيجية أخرى، تستهدف إيجاد مواقع يسهل فيها الإفلات من المتابعة والقدرة على تجاوز الحدود مستغلة عقيدة الجيش الجزائري باحترام حدود الدول وعدم خوض حروب خارج الحدود الجزائرية، كما تستهدف بإعادة انتشارها ربط علاقات بجماعات إرهابية أخرى والتنسيق معها، إضافة إلى إقلاق الجزائر والدول التي تعتمد في اقتصادياتها على تصدير النفط.

يسجل القارئ لخريطة انتشار الجماعات الإرهابية اليوم، أنها تنتشر بقوة حول المناطق النفطية في كل دول العالم الإسلامي باستثناء دول الخليج العربي[23]، وهو ما يطرح أمامنا عدة تساؤلات مشروعة، وتحتاج إلى دراسة عميقة وإجابات، فهل هذا الانتشار هدفه السعي للسيطرة على الموارد النفطية وخنق الدول المعتمدة عليه؟ هل هو مرتبط بقوى كبرى، ومنها الولايات المتحدة الأمريكية لإيجاد ذريعة تحت غطاء محاربة الإرهاب للتموقع وإقامة قواعد عسكرية تجعلها قريبة من مواقع الطاقة إما للتزود بها والحفاظ على طرق مواصلاتها أو لخنق الدول المنافسة لها بمنعها عليها مثل الصين وأوروبا؟ فنحن لا نستبعد هذا الطرح الأخير الذي يدخل في إطار التنافس على الزعامة العالمية.

توسعت هذه الجماعات الإرهابية مباشرة بعد سيطرة الطالبان على أفغانستان، لتعطيها ملجأ هناك، فأخذت طابعا عالميا مع ظهور القاعدة، فأعلنت الكثير من هذه الجماعات الولاء لها، وهي منتشرة في عدة دول من العالم الإسلامي.

ومن خصوصيات هذه الجماعات أنها صغيرة ومتحركة، كي يسهل عليها التحرك بسهولة والضرب في أي مكان تريده سواء في داخل هذه الدول، أو في أوروبا، لكن لم تكن عملياتها في الدول الغربية كثيرة، ونستثني في ذلك ضربات 11سبتمبر2001 التي تدور حولها إلى حد اليوم عدة نقاط استفهام، وعادة ما تكون الأعمال الإرهابية في هذه الدول على أساس ردود فعل او انتقام معين من مواقف أو سياسات محددة.

لكن ضعفت القاعدة نوعا ما بعد الضربات التي تلقتها على يد الأمريكيين في أفغانستان خاصة بعد 11سبتمبر2001، ثم مقتل بن لادن، ظهر على حسابها وإلى جانبها في نفس الوقت تنظيم آخر منبثق عنها، ويدعى بـ "داعش"، فالفرق بين "داعش" و"القاعدة"، هو أن الثانية لم تستقر على أرض معينة لإقامة دولة، وتسيطر عليها، أما "داعش" فهدفه إقامة دولة تعتبرها "خلافة إسلامية" على الأرض مستغلاً الوضع الأمني المتردي في بعض الدول بعد اندلاع ما يسمى بـ«الربيع العربي» الذي تحول إلى فوضى، إضافة إلى تحالفه واستعانته بكل الغاضبين، ومنهم ضباط بعثيين في العراق، خاصة بعد ما تم تسريحهم وتفكيك الجيش العراقي بعد سقوط صدام حسين، والذي يعتبر خطأ قاتلا سمح بدعم الجماعات الإرهابية وتقويتها، كما ساعد على انتشارها عدم وجود جيش وطني عراقي لاستعادة الأمن ومواجهتها، وهو نفس الأمر تكرر في ليبيا بعد سقوط القذافي، ومن الممكن أيضا في سوريا، وقد لعب هؤلاء الغاضبين والضباط دورا مهما في التأطير والتجنيد والتدريب والعمل المخابراتي لتنظيم "داعش".

تتلخص إستراتيجية "داعش" في إقامة دولة خاصة في الأطراف ثم الزحف على المركز مستندة على فكرتين أساسيتين هما: أولها إستراتيجية شبيهة بإستراتيجية "ماوتسي تونغ" الذي حاصر بكين من أطرافها بمسيرة 10آلاف كلم، ليقيم دولة الصين الشعبية، وثانيها هو التاريخ الإسلامي أين يثبت أن الكثير من الدول تأسست انطلاقا من الصحاري، ومنها حتى دولة الخلافة الأولى التي توسعت إلى كل أنحاء البلاد الإسلامية، خاصة وأن الصحاري واسعة، ويكمن فيها منابع الطاقة لتمويل نفسها، خاصة في إطار حصار وعدم اعتراف دولي بها[24].

تمتد "داعش" على مساحات واسعة خاصة في العراق وسوريا، فقد غطت خلال أربع أشهر منذ إعلان تأسيسها في جوان 2014 على مساحة تقدر بـ90 ألف كلم مربع ممتدة على طول دجلة و الفرات حتى شمال شرق سوريا وإلى حدود تركيا، وهي تنقص وتتزايد في مساحتها حسب الظروف، ومقيمة فيها مؤسسات، وتجمع الضرائب من السكان، وتفرض سلطتها على كل سكان المنطقة التي تسيطر عليها مع القيام بتطهير ديني وطائفي وعرقي ضد كل مخالف لمعتقداتها[25]، وانتقلت اليوم إلى ليبيا ساعية إلى إيجاد مكانة خاصة في الوسط، وبالضبط في سرت وماحوها المعروفة بالمراكز النفطية، وتسعى للتمدد إلى الجنوب لإقامة اتصال بالجماعات الإرهابية في الساحل وإفريقيا جنوب الصحراء، والبحث عن خطوط اتصال في الصحراء الكبرى، ومنها الجزائرية، لتربط نفسها بـ"بوكو حرام" في نيجيريا التي أعلنت ولاءها لها، وهدفها من هذا التوسع والتمدد إقامة ما تعتبره «خلافة إسلامية» بصفتها حلم الكثير من المسلمين، فهي دولة متعددة الجنسيات، بما فيها أوروبيون داخلون فيها، ويقاتلون بداخلها، ويحتمل جدا أن تكون نسبة كبيرة من هذه العناصر الأوروبية هي عناصر إستخباراتية لتوجيه ما يعتبر «دولة إسلامية» حسب الأهداف والمصالح الغربية[26].

يبدو أن إقامة "دولة داعش" هي محاولة إستخدم الإستراتيجية الأمريكية والغربية في القضاء على الإرهاب الدولي، وأن إقامة دولة للمتشددين الإسلاميين معناه إمكانية تطبيق فعلي لإستراتيجية الاحتواء لهؤلاء، كما تم احتواء الإتحاد السوفياتي والقوى الشيوعية في العالم حسب مبدأ "جورج كينان".

فإقامة دولة لهم سيدفعهم إلى العقلنة، لأن مصلحة الدولة والسلطة، ستطغى على المصالح الأخرى، بل نعتقد أنه هناك توجيه بوسائل إستخباراتية وفكرية لتحويل هذه الدول التي يمكن أن تتشكل بطريقة مرنة في عدة مناطق مثل ليبيا وسوريا والعراق وكذلك أفريقيا جنوب الصحراء، لكنها كلها تصب في مركز ما يعتقد أنه مركز الخلافة.

فهذه الإستراتيجية الجديدة ستكون لها عدة انعكاسات، وهو الصراع بين بقايا القاعدة وتنظيم "داعش" الجديد، مما سيؤدي إلى إضعاف الجماعات الإرهابية، لكن في نفس الوقت سيقلق دول مجاورة لـ"داعش" مثل الجزائر وحتى دول شمال المتوسط الأوروبية، لكن الهدف الأكبر في الأخير هو إعادة إشعال حرب طائفية في العالم الإسلامي

يقودها "داعش" التي تعتبر الشيعة أخطر من كل الآخرين، فستتوجه قوتها نحو إيران، فينقسم المسلمون بينهما، وتأخذ "داعش" نوع من الشرعية الدولية في مواجهة إيران،أي بتعبير آخر ستكون مثل الصين بالنسبة للإتحاد السوفياتي، وبهذا الشكل ستنتهي ما تسميه الولايات المتحدة الأمريكية بالحرب العالمية ضد الإرهاب التي أشعلها بوش والمحافظين الجدد، لكن إستراتيجية إنهائها ستتم بإستراتيجية مناقضة لإستراتيجية بوش والمحافظين الجدد التي تركوها مفتوحة إلى ما لانهاية، هذا ما سيتبين لنا من معرفة دقيقة لإستراتيجية الاحتواء التي بدأت تظهر ملامحها مع مجيء أوباما إلى الرئاسة.

ثالثا:إستراتيجيات مواجهة الإرهاب الدولي: فعالياتها ونقائصها

إن أكبر مشكلة تعاني منه إستراتيجيات مواجهة الإرهاب هو في تحديد من هو الإرهابي، ولهذا هناك مشكلة تعريفية، فللأسف الولايات المتحدة تضع ضمن الجماعات الإرهابية حتى حركات التحرر، وهو ما يتطلب تعريف دقيق له، فبناء على ذلك، أصبحت الولايات المتحدة في عهد «بوش» خاصة تهدد الجميع، ومنها دول سمتها بمحور الشر مثل إيران وكوريا الشمالية وسوريا، لأنها في نظرها تدعم الإرهاب، كما أنها تركت المفهوم فضفاضا للإرهاب الدولي، وهو ما يفهم في الأخير، أنها حرب أبدية ضد الظاهرة، لأن الإرهاب مستحيل القضاء النهائي عليه، فهو موجود عبر التاريخ وفي كل فتراته بأشكال وتحت غطاءات مختلفة، فالقول بالقضاء النهائي على الإرهاب هو مثل من يقول بالقضاء النهائي على الجرائم الجنائية، وهو ما يدفعنا إلى طرح مشكلة انتقدت عليها عقيدة «بوش» والمحافظين الجدد في محاربة الإرهاب، عندما نزع عنها الصفة القانونية الجنائية، فالإرهاب يحارب مثل الجريمة في إطار القضاء الجنائي والقانون، لكن بوش نزع عنه ذلك، مما حوله إلى مسألة أخرى، مما يعطي شرعية غير مباشرة للإرهاب، كما أن هذه السياسة أثرت سلبا، وأعطت قوة وشعبية للإرهاب، لأن محاربته بهذا الشكل مكن الإرهابيون من إقناع الكثير، بأنهم يدافعون عن الحق، وأن أمريكا تسعى للسيطرة والطغيان العالمي واحتلال أراضي الشعوب، خاصة وأن «بوش» أصبح يشهر سلاح الحرب الوقائية، مما أعتبر أنه وسيلة استعمارية وإعلان الحروب على الشعوب، وقد كان هنتغتون هو واضع هذه الإستراتيجية الوقائية من خلال اعتباره العلاقات الدولية هي حرب حضارات، وأن الحضارة الغربية مهددة من الحضارة الإسلامية المتحالفة مع الكنفوشيوسية الصينية، وإن لم تسبقهم بالضربة، سيضربونك هم[27].

يرى الكثير من المحللين والمتتبعين أن سياسة بوش في محاربة الإرهاب الدولي، قد أثرت سلبا على مكانة الولايات المتحدة الأمريكية، ويعتقد بريجنسكي أن بوش والمحافظين الجدد قد ضيعوا الفرصة المواتية للولايات المتحدة الأمريكية بزعامة العالم بشكل ناعم بعد انتصارها في الحرب الباردة[28].

إن الانتقاد الذي لقيته سياسات المحافظين الجدد و بوش، أدت إلى طرح بدائل لهذه السياسات، ومنها «نظرية الاحتواء» في محاربة الإرهاب والقوى الممكن تدعيمه، وقد كان البروفسور في جامعة يال الأمريكية أيان شابيرو من أبرز هؤلاء المنظرين لها من خلال كتاب أثار نقاشا كبيرا مابين مؤيد ومعارض له، عنوانه «نظرية الاحتواء-ما وراء الحرب على الإرهاب»، الذي سبق لنا الإشارة إليه عند حديثنا عن دور سياسات بوش والمحافظين الجدد في تقوية الإرهاب الدولي، فبعد انتقاده سياسات بوش التي رسمها المحافظون الجدد، دعا شابيرو إلى العودة إلى نظرية الاحتواء التي وضعها "جورج كينان" في 1947 بهدف احتواء الإتحاد السوفياتي أثناء الحرب الباردة، طبعا مع تكييفها مع الظروف الجديدة للإرهاب الدولي[29]، وكي نفهم هذه النظرية الجديدة التي يبدو أن أوباما قد أخذ بجزء كبير منها، يجب علينا العودة إلى النظرية الأصلية كي نفهم هذه النظرية الجديدة.

تعود نظرية الاحتواء إلى الأكاديمي والدبلوماسي الأمريكي جورج كينان، الذي نشر مقالا في مجلة (فورين آفيرز) الأمريكية الشهيرة في 1947 بعنوانّ «أصول النهج السوفياتي»، وهي في الحقيقة ليست مقالة أكاديمية كما يعتقد الكثير، فماهي إلا مجرد تقرير دبلومسي عن الحياة في الإتحاد السوفياتي آنذاك، وذلك بحكم عمله في السفارة الأمريكية في موسكو، وأستند كينان في مقالته بالجمع بين الأيديولوجية الشيوعية ونفسية القادة السوفيات آنذاك مصورا الوضع في عمقه، وليس في ظاهره، لكن تكمن أهمية المقالة في طرحه فكرة «الاحتواء» بمعنى عدم مهاجمة الشيوعيين لأنه لا معنى له، بل سيقويهم،فهم منغلقون ومتعصبون، ويستحيل إقناعهم بعكس ما يعتقدونه، وأن مهاجمة السوفييت سيعطي لهم قوة أكبر، خاصة أن القيادة السوفياتية، تركز على العداء الرأسمالي للشيوعية والخطر الخارجي المهدد للدولة السوفياتية، مما يتطلب قمع كل ما هو داخلي، أي سيدعم الدكتاتورية الستالينية آنذاك، ويرى الحل في احتواء السوفيات والشيوعية في الإتحاد السوفياتي وعدم تركها تتمدد وتتوسع وتنتشر خارج ذلك، دون دخول في حرب عنيفة معها[30].

ويرى الكثير أن هذه السياسة هي التي أتبعت مع الإتحاد السوفياتي حتى سقط نهائيا، وأنهار معه كل المعسكر الشيوعي، واندحرت معه فكرة الشيوعية ذاتها، ولم يضف الأمريكيون لفكرة كينان إلا إحاطتهم للإتحاد السوفياتي بالأحلاف العسكرية، وهذه الإضافة تعود في حقيقة الأمر إلى منظر إستراتيجي آخر هو "نيكولاس سبيكمان" الذي عاصر كينان آنذاك، فقد رأى سبيكمان، أن الولايات المتحدة الأمريكية هي جزيرة العالم ومحاطة بمحيطي الأطلسي والهادي، وهي بالنسبة للعالم مثل انجلترا بالنسبة لأوروبا القارية، ولهذا يجب أن تكون الخطوط الدفاعية الأولى للولايات المتحدة الأمريكية عدم ترك أي قوة تسيطر على حوافي وشواطئ البحار والمحيطات، ولمواجهة الخطر السوفياتي يجب تطويقها ومحاصرتها بأحلاف ومنعها من الوصول إلى هذه الحوافي والشواطئ أو البر من هذه المحيطات.

لكن يمكن أن يطرح تسائل ما علاقة ذلك بمواجهة الإرهاب الدولي، نعتقد أن الإرهاب لا يملك دولة على عكس الشيوعية، وهو ما يدفعنا إلى الشك في وجود مساع لإنشاء دولة للإرهابيين هي "داعش" في مكان واحد أو عدة أمكنة، ثم القيام بنفس سياسة الاحتواء التي طبقت مع الإتحاد السوفياتي والشيوعية العالمية أثناء الحرب الباردة.

لكن ما يثير القلق هو إمكانية تأثير المحافظين الجدد في هذه النظرية المتجددة، فيجب أن نعود إلى فكرة صدام الحضارات لهنتنغتون القائل بصدام حضاري بين الإسلام والغرب، لأن في نظره الحضارة الإسلامية هي المستعصية على الاندماج في الغرب، فلهذا إنشاء «دولة إسلامية» ثم تطبيق نظرية الاحتواء عليها بنفس الطريقة التي طبقت فيه مع الإتحاد السوفياتي والشيوعية مع تكييفها مع الظروف الجديدة،لكن إن كان البعض يرون أنها إستراتيجية للقضاء النهائي على الإرهاب الدولي الذي يقوم به المتطرفون الدينيون، إلا أن البعض من المحافظين الجدد، فإنهم يرونها إستراتيجية للقضاء النهائي على ما يعتقدونه أنه «الإسلام وحضارته»، فهم للأسف لا يميزون ولا يفصلون بين الإرهاب والإسلام، وينظرون إليه مثل الشيوعية ويشبهونه بها، وبأن سياسة الاحتواء، ستؤدي إلى التخلص النهائي من الإسلام ذاته كما تخلصوا من الشيوعية، مما سيضمن الانتصار التام لليبرالية الرأسمالية، كما قال "فوكوياما" في بداية التسعينيات[31]، ولهذا يجب على المسلمين محاربة الإرهاب بكل أشكاله ومنع هؤلاء المتشددين من إقامة دول بإسم دينهم الإسلامي، لأن الهدف من هؤلاء المتطرفين الغربيين ليس الإرهاب، بل هو الإسلام ذاته، الذي يشكل قاعدة لهوية المسلمين الحضارية، كما أن هؤلاء المتطرفين

في الغرب مثل المحافظين الجدد سيقوون باعتقادهم هذا الإرهاب أكثر بدل القضاء غليه، وقد سبق أن أشرنا من قبل إلى دورهم ودور سياسات بوش في تقويته بعد 2001، وقد كان في تراجع نوعا ما .

ونشير إلى أن الكثير من صناع القرار في الغرب، وحتى مفكرين، كانوا ينظرون إلى الدولة السوفياتية كدولة دينية، وأن الشيوعية مثل الأديان، وهذا ما نجده عند "قسطنطين ملنيك" مسؤول المخابرات الفرنسية أثناء الحرب الباردة في كتابة «روما الثالثة»، الذي نشره في ثمانينيات القرن الماضي، وهو كتاب على شكل رسالة للرئيس الأمريكي، يدعوه فيه إلى التعامل مع الإتحاد السوفياتي على شكل ديني، وبأن مؤسسات وممارسات الدولة السوفياتية هي على شكل هرمي مثل التنظيم الكنسي[32]، وهو الأمر الذي سيثبته فيما بعد أحد المنظرين الماركسيين، وهو "رجيس دوبرييه" في كتابه حول علاقة المقدس ذات الطابع الديني في عمق وممارسات الدولة السوفياتية[33].

هذا ما يدفعنا إلى عدم استبعاد هذه النظرة وتكرار نفس الأسلوب مع الجماعات الإرهابية كما فعلوا مع السوفيات، لكن إختلط ذلك مع منظرين آخرين يرون أن ذلك سيؤدي إلى إنهاء المعركة مع الإسلام كله، وليس الإرهاب، كما فعلوا مع الشيوعية التي لا تختلف في نظرهم عن الإسلام، لأنهم لا يفصلون فيما بين الطرفين أي الإرهاب والإسلام.

إن هذا الطرح الأخير هو الذي سيدحضه أمريكي آخر هو غراهام فوللر في كتابه «عالم بلا إسلام»، الذي أشرنا إليه من قبل، يبين فيه أنه ليس صحيح أن الإسلام هو سبب توتر العلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي، بل هي عوامل أخرى تتمثل في المصالح، فحتى لو لم يكن الإسلام موجودا أصلا، فستعرف هذه العلاقات توترا بين هذين العالمين، ويدعو بذلك القيادة الأمريكية إلى التعامل مع الشرق الأوسط ودول العالم الإسلامي دون أي إشارة إلى الإسلام، وكأنه غير موجود أصلاً وذلك كي لا تنتج التطرف، وتقوي الجماعات الإرهابية التي تجند البعض على الإدعاء أن الغرب وأمريكا يحاربون الإسلام[34].

لكن الجماعات الإرهابية وأيديولوجيتها لا تحبذ هذا الطرح الفولري، بل تحبذ طرح هنتغتون الذي يعطي لهذه الجماعات مبررا للتجنيد على أساس محاربة الغرب وكل من يتعامل معه بدعوى أنهم أعداء للإسلام، وأنه هو المستهدف في علاقات الغرب مع العالم الإسلامي.

يمكن أن يعترض البعض على طرحنا، لكن فلنتتبع سياسات باراك أوباما منذ مجيئه إلى السلطة، فهو في البداية سعى إلى التخلص من العبء الذي تركته سياسات المحافظين الجدد على مكانة الولايات المتحدة الأمريكية، خاصة في العالم الإسلامي، ولهذا قام بزيارة دول منه، وألقى خطابه الشهير في القاهرة، وقد عاد إلى السياسة الواقعية بدل المثالية المرتبطة بالأيديولوجية للمحافظين الجدد وسعيهم لنشر ما يعتبرونه «الديمقراطية الأمريكية» بالقوة في دول الشرق الأوسط.

فقد كان أوباما متأثرا بسياسات ونظرية «القوة الناعمة» التي وضع أسسها "جوزيف ناي" في 2003 في كتاب شهير له[35]، بل تشكلت لجنة في 2007 تضع سياسة أمريكية جديدة للرئيس القادم، وكان ناي ذاته رئيسها، لكن بعد حدوث ما سمي بـ«الربيع العربي»، عملت الولايات المتحدة الأمريكية على إيصال التيارات الدينية الممثلين في الإخوان المسلمين إلى السلطة بواسطة انتخابات ديمقراطية، وكانت تعتقد أن ذلك سيؤدي إلى نوع من الاستقرار مادام أن أنظمة دينية إخوانية، ستؤدي إلى نوع من الاستقرار مادام أنها تتماشى مع الأرضية الأيديولوجية لهذه الشعوب، لكن تبين فيما بعد خلل في مقاربتها، ليظهر "تنظيم داعش" بإستراتيجية جديدة يختلف عن القاعدة، وهو سعيه لإقامة دولة على الأرض وملأ الفراغ الذي تركته الأنظمة السابقة والفوضى التي رافقت ما سمي بـ«الربيع العربي»، ففي هذه الظروف ستبرز بقوة نظرية الاحتواء، لأن تطبيقها يحتاج إلى دولة قائمة بذاتها، لكن لا يمكن لنا الحكم من الآن على تطور تطبيق «نظرية الاحتواء»، لأن ذلك متعلق بالرئاسيات الأمريكية القادمة.

الخاتمة

تبين لنا مما سبق أن هناك بوادر لتحولات في الإستراتيجية الأمريكية لمواجهة الإرهاب الدولي، وأنها في الطريق لإعادة تطبيق «نظرية الاحتواء»، كما طبقت مع الإتحاد السوفياتي والشيوعية أثناء الحرب الباردة، وهي النظرية التي تشترط إنشاء دولة كبيرة أو ممكن عدة دول للمتطرفين الدينيين، وقد بدأت بوادرها في تنظيم "داعش"، وهو ما يدفع للتفكير لمواجهة ذلك من الآن، خاصة أنها بإمكانها المساس كثيرا بأمن الجزائر الإستراتيجي، بل إمكانية تمددها على جزء من أرضيها الصحراوية في حالة ما اختيرت ليبيا وكذلك أفريقيا جنوب الصحراء كأحد مراكز هذه الدولة إلى جانب الشام والعراق، وهي دولة بصدد الإنشاء اليوم، ويبدو أن أي تدخل عسكري غربي في ليبيا، ليس هدفه القضاء على "داعش" بل تقويته وتحضير الأرضية لإقامة دولة بنوع من الشرعية، لأن أي تدخل عسكري غربي، سيعطي مبررا للإرهابيين بأنهم يقاتلون ما يعتبرونه «الغرب الصليبي والصهيوني» وغيرها من المصطلحات التي تحرك مخيالا لبعض من المسلمين.

الهوامـــش

1. Bruce Hoffman, La mécanique terroriste, Traduit de l'anglais par bertranddietz, ed Nouveaux Horisons, Paris2002 pp19-20

2. جرایاهامفولر، عالم بلا إسلام-ماذا لو-؟، ترجمة أحمد جمال أبوللیل، دار نشر سطور، القاهرة 2013 ص351

3. يمكن العودة حول مختلف تعاريف الإرهاب إلى:

- Henry Laurens et Mirille Delmas Marty, Terrorismes-histoire et droit-, ed CNRS Paris 2010

- Bruce Hoffman, Op-Cit pp15-54

4. -ستيفان هالبروجوناتان كلارك، التفرد ألأمريكي- المحافظون الجدد والنظام العالمي-، ترجمة عمر الأيوبين دار الكتاب العربي، بيروت2005 ص ص378-350

5. إيان شابيرو، نظرية الاحتواء- ماوراء الحرب على الإرهاب-، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت2012 ص ص32-27

6. Al Gor, Le futur- six logiciels pour changer le monde-,traduit de l'anglais par Nadin Milanvoy, ed Nouveaux Horisons, Paris2004 pp326-334

7. إيان شابيرو، نظرية الاحتواء ص ص 52-33

8. زبيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية- ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي بيروت2007 ص ص183-141

9. Gilles kepel, Jihad: expansion et declin de l'islamisme, ed Gallimard Paris2000

10. Gilles Kepel, Fitna : guerre au cœur de l'islam, ed Gallimard Paris2004

11. عد إلى حرب المفاهيم والمصطلحات في كتابنا:

رابح لونيسي، مستقبل الجزائر في ضوء الإستراتيجيات الدولية، دار المعرفة، الجزائر 2015 ص ص 77-80

12. Samuel.P Huntington, Le choc des civilisations, edOdil Jacob Paris2009

13. مايكل شوير، الفوقية الأمبريالية الأمريكية-لماذا يخسر الغرب الحرب على الإرهاب؟-، ترجمة سيمة عبد ربه، الدار العربية للعلوم، بيروت2005

14. غراهام فوللر، عالم بلا إسلام

15. شوير، ص ص 388-355

16. شوير ص ص 412-393

17. Peter Dale Scott, La route vers le nouveau désordre mondiale-50ans d'ambitions secrètes des Etats unis, traduit de l'américaine par Maxime chaix et Antony spaggiary, ed Demi- lune Paris 2009 pp167-292 et 335-360

18. Nouvel Observateur n°(15-21/01/1998)

19. Benjamin R. Barber, Djihad versus McWorld, Mondialisation et intégrisme contre la démocratie, ed Hachette Paris2001

20. Jean Ziegler, Les nouveaux maitres du monde et ceux qui leur résistent, ed Fayard Paris2002

21. سمير أمين، التمركز الأوروبي-نحو نظرية للثقافة-، موفم للنشر الجزائر1992 ص ص 154-139

22. محمد أركون، الفكر الإسلامي- قراءة علمية-ن ترجمة هاشم صالحن المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء1996

23. يمكن العودة حول إنتشار كل الجماعات الإرهابية في العالم اليوم إلى الملف الذي خصصته لها ولداعش وكيفية إنتشارها وأماكنها مجلة جيوبولتيك بعنوان «الجهاديون في كل حالاته»:

La nouvelle revue Geopolitique,n°126 (juillet-Aout-Septembre2014)

24. Alexandre Adler , Le califat du sang, ed Grasset Paris2014

25. Interview avec Myriam Benraad, in Revue Geopolitique n°126(juillet-septembre) p17

26. GerardFellous, Daech-etat islamique-, ed L'Harmttan, Paris2015

27. Samuel.P Huntington, Op-cit

28. بريجنسكي،الفرصة الثانية

29. شابيرو ص ص 53-57.

30. نشر كينان هذه المقالة في مجلة فورين آفيرز

Foreingen Affairs, vol25 n°4(guly-august1947) , council of foreigne relation pp566-582

وقد أعاد نشرها كاملة في كتابه الهام «الدبلومسية الأمريكية» مع كل المناقشات التي صاحبت هذه النظرية، وقد أعتمدنا على هذا الكتاب:

جورج.ف.كنان، الدبلومسية الأمريكية، ترجمة عبدالإله الملاح، دار دمشق، دمشق1988 ص ص-135 158

31. Francis Fukuyama, La fin de l'histoire et le dernier homme, ed Flammarion Paris2009

32. Constantin Melnik, La 3°Rome-expansion et déclin de l'empire communiste, ed Grasset Paris 1985

33. Régis debray, Jeunesse du sacré, ed Gallimard Paris2002

34. فوللر، عالم بلا إسلام

35. Josephe.s.Neye, soft Power-The means to success in world politics-, ed Public Affairs 2004